

الآخر في الفكر الديني اليهودي وتغذية نزعة العداء والتعصب دراسة في (التناخ والتلمود)

بقلم

ط.د/ بوجناح بوسعد (*) د/ ليليا شنتوح (**)



ملخص

لا يوجد موقف موحد تجاه الآخر في الشريعة اليهودية، فهناك نظرتان متباينتان إلى حد التناقض، النظرة الأولى إيجابية حيث تنص الشريعة اليهودية على أن الأتقياء من كل الأمم سيكون لهم نصيب في العالم الآخر، كما أن هناك في الكتابات الدينية اليهودية إشارات عديدة إلى حقوق الأجنبي وضرورة إكرامه، وتشكل شريعة نوح إطاراً أخلاقياً مشتركاً لليهود وغير اليهود، والنظرة الثانية سلبية حيث نجد نصوصاً في التوراة تفرق بين اليهودي المقدس وبين الجويم (أممي أو غريب) الذي يجب معاداته وبغضه ثم جاءت نصوص التلمود لتغذي الشعور بالكراهية وتزيد من عزلة اليهود وعدائهم للأمم بتشريع التحريم أي القتل والإبادة لكل الجويم.

الكلمات المفتاحية:

الآخر؛ الديانة اليهودية؛ اليهود؛ الأغيار؛ التوراة؛ التلمود؛ حقوق الأجنبي؛ القتل؛ التحريم.

(*) طالب دكتوراه في تخصص: مقارنة الأديان - كلية العلوم الإسلامية - جامعة الجزائر 1.

Boudjenah91@gmail.com

(**) أستاذة محاضرة "أ" بكلية العلوم الإسلامية - جامعة الجزائر 1.

تاريخ الإرسال: 2018-04-13 / تاريخ القبول: 2018/06/18

Liliasana882@yahoo.com

مقدمة

تعتبر العلاقة مع الآخر بوجوهها المختلفة مثل: الحياد، التعاطف، الحب، الكراهية، إحدى محركات إنتاج الهوية، فردية كانت أم جمعية، قد تكون هذه العلاقة مبنية على مستندات واقعية: كلون البشرة وطول الفرد ووزنه ومستواه الثقافي والمادي وقوة وضعف الجماعة التي ينتمي لها الفرد أو الأفراد، أو أيولوجية متخيلة: كالانتماء إلى عرق أو دين أو طائفة أو مذهب معين، دون المستندات الواقعية، إذ تعتبر العلاقة (الهوية) التي تستند إلى المحركات الأيدولوجية، التي هي الأعقد والأخطر بين هذه المحركات، حيث يغيب عنها الواقع (العقل)، ويحل محله الخيال والمتخيل (الأيدولوجية) - إذ لا حوار ساعتها، بل حواجز من الشعور بالفوقية أو الدونية، والكراهية والضغائن، وصراعات وحروب...

والمؤسف هو أن ثقافة الإقصاء والإلغاء هي التي صارت سائدة في بعض الأديان والثقافات والإيديولوجيات، ذلك أن كل جهة قوية صارت تحاول إلغاء الآخر وتعمل على عدم الاعتراف به وتلغي جميع حقوقه، وهو ما يجعل البشرية في مواجهة هذا التحدي الوجودي الكبير، الذي بات يشغل حيزا كبيرا من الساحات الإعلامية، ذلك أنه صار أحد أهم القضايا الكبرى التي تشغل بال المفكرين والباحثين، ومن جهتنا سنعود للبحث في نصوص الديانة اليهودية الأساسية لنرى كيف عالجت الموضوع، ومن هنا نطرح سؤالاً في غاية الأهمية وهو: ما هي طبيعة العلاقة التي تربط الديانة اليهودية مع باقي الديانات الأخرى؟ ثم ما هي نظرتها لغير اليهود؟ هل هي نظرة إقصائية صدامية؟ أم هي علاقة تدعو للتعايش واحترام الآخر؟

وللإجابة على هذه الأسئلة تحتم علينا العودة إلى النصوص التأسيسية لهذه الديانة، وأعني بذلك التوراة والتلمود وهما المصدران الأساسيان للتشريع اليهودي، وإن

الدارس لهذين المصدرين يستشف كيف حددت اليهودية تلك العلاقة مع بقية الأديان والثقافات وبقية البشر.

أولاً: مفهوم الآخر في اليهودية

أول خطوة ينبغي انتهاجها في هذا البحث هو تحديد المفاهيم المركزية لعنوان البحث، لأنه تعد بمثابة الدعائم التي تقوم عليها إشكالية البحث، فلا يمكن أن ندرس الآخر في الديانة اليهودية دون أن نحدد الدلالة الذاتية للمفهوم.

ولذلك يحسن بنا أولاً التعريف بمصطلحات هذا الموضوع بناءً على قاعدة: (الحكم على الشيء فرع عن تصوره) وهي بيان معنى (اليهودية) و(الآخر).

1- مفهوم اليهودية:

أ- لغة: الراجع¹ أن اليهودية היהדות مشتقة من كلمة "يهوذا יהודה" الابن الرابع لسيدنا يعقوب عليه السلام²، ولتفسير اسم يهوذا نرجع إلى التوراة وتحديد النص الذي في سفر التكوين الإصحاح 29 العدد 35 الذي يقول:

וַתֵּהֶרַע לַיהוָה עַל יוֹדוֹ וַתֵּלֶד בֶּן וַתֵּאמֶר הַפֶּעַם אֵדוּד הָאֶת־יְהוָה עַל־פִּי קָרָא הַשֵּׁם יוֹדָה וַתַּעַמְדְּ מִלְּדָתָהּ
 "وحبلت أيضاً وولدت ابناً وقالت: هذه المرة أحمد يهوه، لذلك دعت اسمه يهوذا، ثم توقفت عن الولادة"

هذه المقولة كانت على لسان ليئة زوجة يعقوب عليه السلام أم يهوذا فنجد اسم "يهوذا" يتكون من جزئين:

الجزء الأول: هو المقطع (יהו-يهو) وهو مشتق من الاسم العبري للذات الإلهية (יהוה-يهوه) وتلك الطريقة نجدها في الكثير من الأسماء مثل (يهوشوع יהושע) (يهوقيم יהויקים).

الجزء الثاني: المقطع (٦٦-ده) المشتق من المقطع (٦٦-يده) بمعنى شكر أو حمد.³

ب- اصطلاحاً:

قيل في تعريفها أنها: هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذين أرسل إليهم موسى عليه السلام -مؤيداً بالتوراة- ليكون لهم نبياً،⁴ أو هي الملة التي يدين بها اليهود وهم أمة موسى عليه السلام وكتابهم التوراة.⁵

2- مفهوم الآخر:

أ- لغة:

ورد في "لسان العرب" لابن منظور: أنه "اسم على أفعل والأنتى أخرى، إلا أن فيه معنى الصفة لأن أفعل من كذا لا يكون إلا في الصفة، وتصغير آخر أو يخر، وقوله تعالى: ﴿فَأَخْرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾⁶ فسرهُ الفراء فقال: معناه آخران من غير دينكم من النصراني واليهود، والجمع بالواو والنون، وأخريات وأخر، وحكي بعضهم: أبعد الله الآخر، ويقال: لا مرحباً بالآخر أي بالأبعد⁷، أما في منجد اللغة والأدب والعلوم، فقد جاء بمعنى "غير، وجمع آخر وأخريات، ومن الكناية (أبعد الله الآخر) أي من غاب عنا وليس منا".⁸

فإن المعنى الأصلي للجذر اللغوي ل (آخر) يفترض وجود مسافة زمنية كالتقدم والتأخر أو مساحة كأول الصفوف وآخره، فالتحليل اللغوي السالف يثبت المعنى الأصلي وهو وجود «شقة» بين الأنا والآخر، والشقة تعني «الفرقة» أو «الخلاف».

ب- اصطلاحاً:

هو مفهومٌ متعدد المعاني، ومختلفٌ باختلاف وجهات النظر والرؤى البحثية فلسفياً ونفسياً حوله. رغم أن ثمة اتفاقاً على أن هذا الآخر أو الغير، مجاوز لمعنى الأنا أو الهو،

الآخر في الفكر الديني اليهودي وتغذية نزعة العداء والتعصب بوسعد، د. شنتوح

بحيث تنحصر دلالاته في المفهوم الشائع، في معنى الآخر أو الغير المتميز عن (الأنا) أو الذات الفردية -أي هو كل ما ليس أنا- سواء كان هذا الآخر ذاتاً فردية (أنت)، أو كان ذاتاً جماعية بشقيها، كالذات الجماعية التي تنسب إليها ذات الفرد وهي (نحن)، أو الذات الجماعية المقابلة للجماعة التي تنتمي إليها ذات الفرد، وهي آخر الآخر (هم)، والتي إما أن تكون ذاتاً جمعية لصديق أو لعدو، ومهما يكن فإن الذي يهمننا في بحثنا هذا هو الآخر الذي يعني المخالف في الدين والفكر والعرق⁹.

1- مفهوم الآخر في التوراة:

لا تخلو نصوص التوراة من نظرة عطف تجاه الغرباء فنجد التوصية برعايتهم ، وشمولهم في الأعياد والمناسبات، والتحذير من تحريف أحكام القضاء في حقوقهم، وتندد بالعنف تجاههم ومن الآيات الدالة على ذلك:

"لا تتسلط عليه بعنف، بل اخش إلهك"¹⁰.

"المريض لم تقووه، والمجروح لم تعصبوه، والمكسور لم تجبروه، والمطروود لم تستردوه، والضال لم تطلبوه، بل بشدة وبعنف تسلطتم عليهم"¹¹.

"لا تبغض أخاك في قلبك، إنذارا تنذر صاحبك ولا تحمل لأجله خطية"¹².

"لا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك، بل تحب قريبك كنفسك، أنا الرب"¹³.

"لا ترتكبوا جورا في القضاء، لا تأخذوا بوجه مسكين ولا تحترم وجه كبير، بالعدل تحكم لقريبك"¹⁴.

الظاهر من هذه النصوص أنها مجرد أوامر ونواه ووصايا ذات طابع أخلاقي عام يتعين على اليهودي التمسك بها، ولكن التفسير يعطيها مضمونا مغايرا تماما، فمن أهم أهداف التفسير تحديد المضمون الدقيق للوصايا والنواهي والمصطلحات التي ذكرت في النصوص، ومن أهم هذه المصطلحات كلمة "أخوك" أو كلمة "رجل" التي

يفسرونها أنها تعني اليهودي وحسب، ولذا فإن الأوامر والنواهي الخاصة بأن (تحب أخاك) ولا (تسرق أمواله) ولا (نزفي بزوجته) وكذلك ألا تخدعه أو تؤذيه أو تنتقم منه لا تنطبق إلا على اليهود وحدهم، ولتوضيح ذلك نضرب مثال الربا، حيث تمنع التوراة والتلمود بصرامة اليهودي من تقاضي فائدة على قرض يعطيه ليهودي آخر، حيث جاء في سفر التثنية: "لا تقرض أخاك بربا، ربا فضة، أو ربا طعام، أو ربا شيء مما يقترض بربا"¹⁵، بينما تفيد غالبية المراجع التلمودية أن أخذ أكبر قدر ممكن من الفائدة من قرض لأحد الأغيار يعتبر واجبا دينيا.¹⁶

أما النصوص التي تتحدث عن الآخر بمفهوم الإنسان فهي ما جاء في نبوءة أشعيا النبي الذي يرسم صورة لسلام عالمي يشمل "الأمم جميعا" حين قال: "لا ترفع أمة على أمة سيفاً ولا يتعلمون الحرب فيما بعد".¹⁷

وسوف يشمل السلام الجميع لأن الشعوب كافة "أبناء الرب" إذ يقول: "مباركة هي مصر شعبي، آشور صنع يدي، وإسرائيل ميراثي"¹⁸ فأشعيا هنا يطلب البركة لكل الشعوب، فرويته رؤية إنسانية شاملة، تماما مثل قصة الخلق التوراتية.

وجاءت نصوص في التوراة تدعو إلى محبة الغريب وعدم الاعتداء عليه وظلمه منها ما ورد في سفر اللاويين: "وإذا نزل عندك غريب في أرضكم فلا تظلموه، كالوطني منكم يكون لكم الغريب النازل عندكم، وتجه كنفسك، لأنكم كنت غرباء في أرض مصر، أنا الرب إلهكم".¹⁹

ونجد كذلك بعض النصوص تجعل اليهودي وغير اليهودي على قدم المساواة في الحقوق والواجبات دون تمييز بين اليهودي والغريب حيث ورد في سفر العدد: "لذلك قلت لبني إسرائيل: لا تأكل نفس منكم دما، ولا يأكل الغريب النازل في وسطكم دما، لكن تحفظون أنتم فرائضي وأحكامي، ولا تعملون شيئا من جميع هذه

الرَّجاسات ، لا الوطني ولا الغريب النازل في وسطكم".²⁰ وأيضا "أيتها الجماعة، لكم وللغريب النازل عندكم فريضة واحدة دهرية في أجيالكم، مثلكم يكون مثل الغريب أمام الرب، شريعة واحدة وحكم واحد يكون لكم وللغريب النازل عندكم".²¹

وجاء كذلك الأمر بالإحسان إلى الغريب وبذل الصدقات ومساعدة المحتاجين من الغرباء، فقد جاء في سفر اللاويين: "وعندما تحصدون حصيد أرضكم لا تكمل زوايا حقلك في الحصاد، ولقاطَ حصيدك لا تلتقط وكرمك لا تعلقه، ونثار كرمك لا تلتقط، للمسكين والغريب تتركه، أنا الرب إلهكم".²²

وكذلك: "وإذا افتقر أخوك وقصرت يده عندك، فاعضده غريبا أو مستوطنا، فيعيش معك، لا تأخذ منه ربا ولا مرابحة، بل اخش إلهك، فيعيش أخوك معك".²³ وتنص الشريعة اليهودية على أن الأتقياء من كل الأمم سيكون لهم نصيب في العالم الآخر، وأن الرب يقبل قرباتهم وصلواتهم حيث جاء في سفر أشعيا "وأبناء الغريب الذين يقتربون بالرب ليعلموه وليحبوا اسم الرب ليكونوا له عبيدا، كل الذين يحفظون السبت لئلا ينجسوه، ويتمسكون بعهدي، آتي بهم إلى جبل قدسي، وأفرحهم في بيت صلاتي، وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي، لأن بيتي بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب".²⁴

حيث تشكل "شرائع نوح السبع שבע מצוות בני נח" إطارا أخلاقيا مشتركا بين اليهود وغير اليهود فهي أوامر أعطها الله لنوح عليه السلام ، وهي ملزمة لجميع البشر وتتمثل في:

- حظر عبادة الأوثان
- حظر الهرطقة والتجديف

- حظر سفك الدماء
 - حظر السرقة
 - حظر الزنى والانحلال الجنسي
 - حظر أكل لحم حيوان حي
 - فرض إقامة نظام عادل لتطبيق الشرائع الستة السابقة
- والذي ينفذ هذه الوصايا من غير اليهود يسمى (جرتوشاف) أي (مقيم غريب) أو حتى (متهود) وكان يعد من الأخيار والصالحين وسيكون له نصيب في العالم الآخر²⁵.

وفيما يتعلق بصورة "الآخر" في التوراة (بالمفهوم السلبي) فقد وردت عبارات عديدة في (التناخ) تبين طبيعة النظرة للآخر المختلف عن اليهودي المقدس في الأصل، وتعد فكرة (الاختيار الإلهي) لبني إسرائيل عقيدة جوهرية عندهم، ويرى علماءهم على اختلاف الجماعات المنتمين إليها أن الاختيار عقيدة أصلية عززتها نصوص التوراة²⁶، فقد جاء في سفر التثنية: "لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب، التصق الرب بكم واختاركم، لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم، وحفظه القسم الذي أقسم لأبائكم"²⁷.

تقول رقية العلواني في ذلك: "ويبقى التأويل الأكثر شيوعاً لفكرة (الاختيارية)، أنه ناجم عن إرادة الإله المطلقة المبنية على الحب الإلهي لهذا الشعب، وعلى طبيعة العهد والميثاق الذي ألزم الإله به نفسه تجاه الشعب، فهو اختيار لم يأتي نتيجة كثرة عددهم، بل نتيجة مباشرة لحب إلهي خالص، ووعد لأبائهم إبراهيم وإسحاق ويعقوب"²⁸.

2- تطور مدلول الآخر إلى الأغيار

الثابت عند اليهود التفريق بين اليهود والأغيار، و"الأغيار" هي المقابل العربي للكلمة العبرية "جوييم" ^{٢٨} وهذه هي صيغة الجمع للكلمة العبرية "جوي" ^{٢٩} التي تعني "الشعب people" أو "القوم" وقد كانت الكلمة تنطبق في بادئ الأمر على اليهود وغير اليهود، ولكنها بعد ذلك استخدمت للإشارة إلى الأمم غير اليهودية دون سواها، وعبر الزمن تطور مدلول الكلمة على يد الحاخامات واكتسبت إحياءات بالذم والقدح، وأصبح معناها "الغوغاء" و"الدهماء" و"الأنجاس" فأصبحت الكلمة تحمل معنى القذارة المادية والروحية والكفر، فأصبحت كلمة (عُوي) عندهم سُبَّة!! والأغيار درجات أدناها "العكوم" أي عبدة الأوثان و الأصنام (بالعبرية: عوبدي كوخافيم أو مزالوت أي عبدة الكواكب و الأفلاك السائرة) وأعلاها أولئك الذين تركوا عبادة الأوثان وهم المسيحيون والمسلمون، وهناك مستوى وسيط من الأغيار "جريم" أي المجاورون أو "الساكنون في الجوار" مثل السامريين²⁹.

ولم يكتف اليهود في شغفهم باحتقار الأمم الأخرى ومسبَّتها بتسميتها (عُوييم)، بل ظهر إلى جانبها عددٌ من ألفاظ السباب، أشهرها (عاريل)، ومعناها (الأقاسف) الذين لم تُجر لهم عملية الختان أو الطهارة، بل بقي بدائياً فطرياً، وهو بهذه الحالة قذر وكافر في آن واحد³⁰، وهناك أيضاً من ألفاظ السباب (حمزير) ومعناها (ابن الزنى)، الذي استُعملت نَعْتاً للفلسطينيين من أهل (أشدود)، كما دلَّت على كل شعب حقير مختلط الأنساب في مواضع كثيرة من النصوص المقدَّسة، وأخيراً اتجهت العقلية اليهودية من خلال تعصبها العُنصري إلى تخصيص مدلول الشتم والمسبَّة في هاتين اللفظتين، فأصبحت لفظة (عاريل) من نصيب المسيحيين، لأن الختان عندهم غير شائع بينهم، أما لفظة (حمزير) أي ابن الحرام، فقد آلت إلى المسلم، لأنَّه في تفكير أصحابها مولود

من (إبراهيم)، لكن من طريق (هاجر) التي يعتبرونها أجنبية جارية، فكل من ينتمي إليها منتسباً بالأصل، أو بالدين إلى محمد (ﷺ) -وهو من سلالة إبراهيم- يُعتبر في الفكر اليهودي العنصري المتحجّر من أبناء الحرام (حمزير)³¹.

وقد استغل اليهود هذا التعبير وطوعوه ليخدم مصالحهم، ومن الأمثلة على ما قام به مفسرو الشريعة اليهودية في تغيير النص الحرفي إلى ما يخدم توجهاتهم الشخصية والدنيوية، فنجدهم قد أعادوا تفسير حظر الزواج من أبناء الأمم الكنعانية السبع الوثنية³²، ووسعوا نطاقه بحيث أصبح ينطبق على جميع الأغيار دون تمييز بين درجات عليا ودنيا، وقد ظل الحظر يمتد ويتسع حتى أصبح يتضمن مجرد تناول الطعام (حتى ولو كان شرعياً) مع الأغيار، بل أصبح ينطبق أيضاً على طعام قام جوي (غريب) بطهوه، حتى وإن طبّق قوانين الطعام اليهودية³³.

كما أن الزواج المختلط، أي الزواج من الأغيار، غير مُعترف به في الشريعة اليهودية، ثم ارتقى هذا التأويل ليدخل في رد شهادة الأغيار في المحاكم اليهودية الشرعية وإن كان صادقا أميناً، ثم دخلت هذه التأويلات في عدم الجواز لليهودي الاحتفال بأعياد ومناسبات الأغيار إلا في أضيق الأحوال كخوف اليهودي أن يلحق به الأذى إن لم يحضر هذه المناسبة.

وكما توسعت دائرة الأغيار في المثال السابق، قام الحاخامات بتضييق دائرة الإشارات و الدلالات التي قد يدخل بها غير اليهود، فالكلمة التي قد يحتمل معناها اليهودي أو غيره جمعوها في شخص اليهودي فقط، فلو أطلقنا كلمة رجل أو إنسان أو أخ.... إلخ، تجد أن المفهوم العام لها أنها تعني أي رجل أو أي إنسان أو أي أخ، أما عند اليهود فلا تعني إلا اليهودي، فالرجل اليهودي أو الإنسان اليهودي أو الأخ اليهودي... وهكذا³⁴.

ثانياً: نصوص العنف ضد الآخر في التناخ

إن الوقوف على التعاليم الدينية اليهودية تبين أن الإله يهوه، يعلم شعبه المختار العداء للشعوب الأخرى، ويشير فيهم كافة أشكال العنصرية والعصبية والاستعلاء والكراهية، بل وتبلغ الدعوة اليهودية ذروة التطرف والعنف حين تحض النصوص المقدسة على استباحة بلاد الأمم والشعوب الأخرى واستحلال دمائهم وأموالهم ونسائهم.

إن النصوص التوراتية حافلة بالشواهد التي تؤكد على التربية العدوانية ضد الآخر، والتي تتحول بفعل هذه التعاليم إلى طقوس وشعائر تعبدية تركز في مجملها على العنف، ومن أمثلتها:

-الأمر بالاستباحة والتحرير: لقد جمعت قوانين الحرب في العهد القديم في سفر التثنية، وفيه تحدد لليهود كيفية الاستيلاء على المدن وأسلوب التعامل مع أهل البلاد في الإصحاحات التالية: 10/20 و14/21 و10/23 و16/23 و5/24 وقد أصبحت هذه الأسفار مرجعاً وقانوناً ومصدر إلهام ووحى للقادة الصهاينة، منها: "إذا تقدمت إلى مدينة لتقاتلها فادعها أولاً إلى السلم، فإذا أجابتك إلى السلم وفتحت لكم، فجميع الشعب الذي فيها يكونوا لك تحت الجزية ويتعبدون لك. وإن لم تسلمك بل حاربتك فحاصرتها، وأسلمها الرب إلهك إلى يدك، فاضرب كل ذكر بحد السيف، وأما النساء والأطفال وذوات الأربع وجميع ما في المدينة من غنيمة، فاغتنمها لنفسك وكل غنيمة أعدائك التي أعطاكها الرب إلهك..."³⁵.

وهكذا يسرد التوراة قصص الحرب في مواضع عدة وجميعها تتعامل مع المدن والبلدات بمنطق التحريم" وهو المصطلح التوراتي المعرب والملتبس والذي يعني الإبادة كما يتضح من سياق الآيات الكثيرة.

وهكذا طبق يشوع بن نون ما ورد فيها عندما دخل أريحا: " وقتلوا كل ما في المدينة من رجل وامرأة، من طفل وشيخ، حتى البقر والغنم بحد السيف".³⁶

-الأنبياء القدوة والسيف: أنبياء التناخ عند اليهود يتميزون بالقسوة والعنف، فموسى عندما انتصر على المديانيين، وجاءوا بالسبايا والغنائم قال لهم: " فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها، لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حيات".³⁷

ويوصي الرب موسى قائلاً: "كلم بني إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم، وتمحون جميع تصاويرهم، وتبيدون كل أصنامهم المسبوكة وتخربون جميع مرتفعاتهم. تملكون الأرض وتسكنون فيها لأنني قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها".³⁸

-الروح الاستتصالية: تتجلى التربية عند اليهود بأنها ذات نزعة استتصالية تجاه الأغيار، وتظهر بوضوح في العديد من النصوص التوراتية مثل: "هوذا شعب يقوم كلبوة، ويرتفع كأسد، لا ينام حتى يأكل فريسة ويشرب دم قتلى".³⁹

وفي سفر التثنية ورد: "الرب إلهك يطرد هؤلاء الشعوب من أمامك ويدفع ملوكهم إلى يدك فتمحو اسمهم من تحت السماء".⁴⁰

وتظهر عملية الاستتصال الدموية للشعوب المغايرة بأنها أمر إلهي: "أما مدن أولئك الأمم التي يعطيها لك الرب إلهك ميراثاً فلا تستبق منها نسمة".⁴¹

إن عبارة القتل والإفناء والاستتصال تتكرر في الأسفار التوراتية عند كل حديث عن قتال أو احتلال لمدينة وقرية، ويعدد التوراة عدد الملوك الذين قتلهم يشوع وأفنى شعوبهم فيقول "جميع الملوك واحد وثلاثون" وليس غريباً أن يعمد الصهاينة إلى التذكير الدائم بهذه الوقائع وتصويرها على أنها بطولات يمكن استعادتها بقلب

عصري وحديث ، بل ويجري تلقينها للأطفال، ليس كأساطير ، بل كوقائع وتاريخ يجب تمثله والاستفادة من عبره ودروسه.

ثالثاً: مفهوم الآخر في التلمود

فيما يتعلق بمفهوم "الأغيار" أو "الآخر" في النصوص التلمودية فقد أسهمت النصوص التلمودية وأقوال الحاخامات في تكريس اتجاه انفصال اليهود عن الأغيار ووسعوا نطاقه، وعلى هذا نجد عددا كبيرا من النصوص التلمودية يسهم في هذا الفصل والانعزال ويعززه من خلال استصدار العديد من الأحكام والتشريعات، بل إنهم قاموا بإعادة تأويل بعض النصوص التوراتية لتعزز النزعة الانفصالية التي أرادوا فرضها على مختلف الجماعات اليهودية، مؤكدين التعارض الحاصل بين اليهود والأغيار، لتصبح تلك النصوص أساسا يعتمد عليها في الكتابات التلمودية وغيرها⁴². وفيما يلي بعض النصوص الواردة في التلمود -كما أوردتها الموسوعة اليهودية⁴³- حول الأغيار وكيفية تعامل اليهود معهم:

- اليهودي يفتتح بالشكر للرب على أنه لم يخلقه من الأغيار أو جعله امرأة أو عبدا.
- اليهود هم البشر، أما غيرهم فهم ليسوا من البشر، بل وحوش وشياطين.
- العكومي (غير اليهود) مثل الكلب، حقا إن الكتاب المقدس يعلمنا أن نقدّر الكلب أكثر من غير اليهودي، رغم أن الرب خلق "الأغيار" إلا أنهم مع ذلك حيوانات في أشكال آدمية، ولأن اليهودي لا يخدم من قبل حيوان، كانوا في صورة آدمية.
- المرأة الحامل من الأغيار ليست أفضل من الحيوان الحامل .
- أرواح غير اليهود جاءت من أرواح غير نقية تسمى خنازير.
- تناول الطعام مع غير اليهودي، كتناوله مع كلب.
- يجوز قتل غير اليهودي
- كل يهودي يريق دم غير يهودي، فإنها هو يقدم أضحية للرب.

- ضرب اليهودي كضرب الرب، وإذا ضرب غير يهودي يهوديا فلا بد من قتله.
- النعيم مأوى أرواح اليهود ولا يدخل الجنة إلا اليهود، أما الجحيم فمأوى الكفار ولا نصيب لهم فيه إلا البكاء .
- الذي يرتد عن الدين اليهودي يعامل كالأجنبي ويقتل إلا إذا فعل ذلك لأجل أن يغش غير اليهود.
- يحق لليهودي أن يغش الكفار ومحظور عليه أن يحبي الكافر بالسلام ما لم يخشى ضرره أو عداوته.

- مسموح غش الأجنبي وسرقة ماله بواسطة الربا الفاحش.
- اقتل الصالح من غير اليهود ومحرم على اليهودي أن ينجي أحدا من الأجانب من هلاك أو يخرج من حفرة وقع فيها بل عليه أن يسدها بحجر.

القرايين البشرية وعلاقتها بالآخر:

ومن الأمور البشعة التي تبين مدى وحشية اليهود مع غيرهم تلك العادة الدينية المتعلقة باستنزاف دم غير اليهود لمزجه بالعجين الذي يصنع منه الفطير الذي يأكله اليهود في عيد الفصح عندهم، ففي بعض نسخ التلمود: «عندنا مناسبتان دمويتان ترضيان إلهنا يهوه: إحداهما عيد الفطائر الممزوجة بالدماء البشرية، والأخرى مراسيم ختان أطفالنا»، وقد قام البريطاني أرنولد ليز بجمع أهم حوادث الذبح البشري المنسوبة لهذه الطريقة ونشر ذلك في كتاب في عام 1938م⁴⁴.

وكما يتضح من النصوص السابقة فإن في التلمود تأكيداً وتأصيلاً لنزعة العنف والتفوق العنصري اليهودي على بقية شعوب الأرض على اعتبار أنهم الشعب المختار، وأن الله اصطفاهم دون سواهم من شعوب الأرض. لذلك كانوا حريصين على أن لا يطلع على التلمود غيرهم، إلا من يأمنون جانبه خوفاً من ثورة العالم المسيحي ضد اليهود، وقد أخفوه أربعة عشر قرناً منذ أن وضعه حاخاماتهم، لكن ما إن تسرب

حتى تسبب بردات فعل متتالية وكبيرة ، ففي سنة 1242م أمرت الحكومة الفرنسية في باريس بإحراق التلمود علناً ، وتكرر هذا الأمر عشرات المرات في أغلب العواصم الأوروبية وفي أزمنة مختلفة منذ ذلك الحين.

رابعاً: الهالاكاه הלכה والأغيار:

تستند الهالاكاه، أي المنظومة التشريعية لليهودية، في المقام الأول إلى التلمود البابلي الذي يرسم منظومة علاقات اليهود مع الأغيار، من موقع التفوق والاستعلاء. "تضع الهالاكاه واجب إنقاذ اليهودي لحياة أخيه اليهودي فوق أي واجب آخر، حتى لا يجاريه في الأهمية سوى تحريم الكبائر الثلاث (الزنا والقتل والوثنية) أما بالنسبة لغير اليهود فإن المبدأ التلمودي الأساسي ينص على عدم إنقاذهم، رغم تحريم قتلهم صراحة في بعض المواضع، ويعبر التلمود نفسه عن هذا المبدأ على النحو التالي: "لا يجب إخراج غير اليهود من بئر أو دفعهم في البئر"، ويفسر موسى بن ميمون هذا الأمر: "يجب ألا نتسبب بقتل غير اليهود الذين لسنا في حالة حرب معهم، ولكن يحظر إنقاذ حياتهم إذا كانوا على مشارف الموت إذا شوهدهم أحدهم يسقط في البحر مثلاً، فلا يجب إنقاذه، لأن الشريعة تقول لا تهمل دم أخيك وغير اليهودي ليس أخاً"⁴⁵.

وهناك عدة مسائل أخرى لا يسمح لنا البحث بعرضها كقضية حظر علاج الطبيب اليهودي لغير اليهودي، وحظر إنقاذ حياة غير اليهودي، وحظر توليد قابلة يهودية للحامل من الأغيار، جواز قتل الأطفال والرضع، جواز تدمير المدينة أو الدولة التي أسهم أفرادها في إلحاق الضرر بإسرائيل، عدم جواز كسر حرمة السبت من أجل مساعدة أو إنقاذ حياة غير اليهودي، ويمكن مراجعة هذه القضايا وغيرها في كتاب: شريعة الملك أحكام العلاقات بين اليهود والأغيار من تأليف: الحاخام يستحاق شابيرا والحاخام يوسف اليتسيور، وهو كتاب خطير جداً يضم بين دفتيه المنطلقات والقواعد الفكرية والأيدولوجية التي تدعو لاستباحة وسفك دماء الأغيار (الغوييم)

على أيدي اليهود في أوقات السلم والحرب، تمت كتابته بلغة عبرية قديمة مشابهة للكتابات في العصور القديمة، وهو مزيج من أحكام منتقاة بشكل عنصري لمجموعة نصوص من التوراة والمشنا، بالاعتماد على أقوال وآراء فلاسفة وعلماء يهود متطرفين من عدة عصور.

نلاحظ من خلال نصوص التناخ والتلمود بروز موقفين متباينين تجاه الأغيار الأول يدعو إلى التسامح والمحبة والتعاون وأن اليهودي ينتمي إلى الجنس البشري ككل لا فرق بينه وبين غيره من بني البشر، والثاني يرى أن اليهود شعب مقدس وغيره من بني آدم مسخر لخدمتهم فهم الأسياد وغيرهم العبيد مع ما يترتب على ذلك من بغض وتعصب ودعوة إلى إباحة دمائهم، ولقد حاول اليهود التوفيق بين هذه النصوص وإزالة التناقض الحاصل بينها فجعلوا كل النصوص التي تدعو إلى حقوق الأجنبي كلها مرتبطة باليهودي فالأخ والرجل تعني الأخ اليهودي والرجل يعني الرجل اليهودي، ولا يمكن إزالة هذا النشاز والتناقض إلا بأمر واحد وهو أن المخاطب بتلك الأخلاق الفاضلة لا يمكن أن يكون إلا يهوديا، أما الآخر فهو عدوُّ ابتداءً تطبق عليه كل الأحكام العدائية⁴⁶.

والشيء الذي كرس الجانب العدائي اتجاه الأغيار على جانب التسامح هو "تراث القبالة"⁴⁷ حيث جعل التمييز بين الشعب اليهودي والأغيار حادا إلى أقصى درجة، حتى أن القباليين ذهبوا إلى أن اليهود قد خلقوا من طينة مختلفة عن تلك التي خلق منها بقية البشر، وإلى أن الأغيار خلقوا على شكل الإنسان حتى يمكنهم القيام بخدمة اليهود⁴⁸.

الخاتمة:

وفي الختام نستنتج أن جذور الروح العدوانية والنزعة الإرهابية والسلوك العنفي عند اليهود، لا يعود إلى مثيرات خارجية يتعرض لها في صراعه مع أعدائه الذي يتمثل - كما يقولون - في "بحر العداء العربي"، إن الاكتفاء بمثل هذا التفسير يغفل حقيقة

الآخر في الفكر الديني اليهودي وتغذية نزعة العداء والتعصب بوسعد، د. شنتوح

التكوين التاريخي والمعرفي والعقدي للشخصية اليهودية على امتداد مراحل تكوينها منذ مرحلة الشتات إلى مرحلة الجيتو ثم إلى مرحلة الصهيونية. في كل هذه المراحل كانت التركة الإرهابية وإيديولوجيا العنف والعدوان تتأصل وتنضج وتتجه نحو التصلب لتصبح جزءاً من النسيج التكويني والمعرفي للشخصية اليهودية والصهيونية. إن الناظر في ممارسات اليهود الإجرامية والمجازر المتكررة في حق الشعوب على مدى التاريخ يجد لها صدى وجذور عميقة في كتبهم المقدسة سواء كان في التوراة أو التلمود بداية في غرس عقيدة الفصل بين اليهود والأغيار أو ما يسمى بالغوييم ثم إضفاء القداسة على الشعب اليهودي حتى وصل بهم الأمر إلى إدعاء أن أرواح اليهود أرواح مقدسة بحلول روح الله فيها، بمقابل تحقير كل ما هو غير يهودي وأن أرواحهم نجسة، ثم نجد النصوص الكثيرة التي تدعو صراحة إلى كرهه ونبذ بل وقتل الأغيار بمبدأ "التحريم" أي الإبادة الجماعية فلا يسلم منها لا النساء ولا الأطفال وحتى الحيوانات كلها تضرب بحد السيف، لذلك لا نجد غرابة في نظرة اليهود الاستعلائية، واستباحتها للمجتمعات، ولا غرابة عندما نسمع عن المجازر التي حدثت في تاريخنا المعاصر في فلسطين أو لبنان ... وغيرها على أيدي اليهود دون أي اعتبار أو اعتذار أو ندم خلال السبعين عاماً، بل إن من يقوم بهذه الأعمال يعتبر في نظر اليهود بطل قومي، بينما هم لم يكلوا أو يملوا من قضية استنكار ومطالبة التعويض والاعتذار عن (الهولوكوست) محارق وافران هتلر المبالغ بها.

- الحواشي والإحالات:

¹ قيل أنه مشتق من الجذر יהד الذي يصرّف في وزنٍ فقط: התייהד - هيتياهيد أي تهود - صار يهودياً و'יהד - يهد هود - جعله يهودياً.

² مجموعة من المؤلفين: دائرة المعارف الكتابية: دار الثقافة ج8، ص306.

³ انظر: مدونة قلما وسيف (المتخصصة في مقارنة الأديان) اليهودية لغة واصطلاحاً من واقع اللغة العبرية والتوراة، 30 يونيو 2011، الرابط المباشر:

http://qalam-saif.blogspot.com/2011/06/blog-post_30.html

⁴ مانع بن حماد الجهني: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ط4، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ج1، ص496.

⁵ عبد الكريم الشهرستاني: الملل والنحل، تح: خيرى سعيد، دار التوفيقية للتراث، القاهرة، ج1، ص253.
⁶ - سورة المائدة، الآية 107

⁷ ابن منظور: لسان العرب، ط3، دار صادر-بيروت، 1414هـ، ج4، ص13.

⁸ لويس معلوف: المنجد في اللغة والإعلام، ط4، دار المشرق والمكتبة الشرقية، بيروت، 2005، مادة (آخر) ص05.

⁹ انظر: موقع الإسلام اليوم: سامي بن عبد العزيز الماجد، مصطلح الآخر من تحركات المعنى إلى احتكار اللقب، 30 أبريل 2005، الرابط: <http://www.islamtoday.net/nawafeth/artshow-40-5542.htm>

¹⁰ اللاويين 43/25.

¹¹ حزقيال 4/34.

¹² اللاويين 17/19.

¹³ اللاويين 18/19.

¹⁴ اللاويين 15/19.

¹⁵ التثنية: 19/23.

¹⁶ انظر: إسرائيل شحاك، الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، تر: حسن خضر، ط1، سينا للنشر، القاهرة-مصر، 1994م، ص68.

¹⁷ أشعيا 4/2.

¹⁸ أشعيا 25/19.

¹⁹ اللاويين 33-34.

²⁰ اللاويين 26/19.

²¹ العدد 15/15-16.

²² اللاويين 10/19.

²³ اللاويين 35/25.

²⁴ أشعيا 6/56.

²⁵ انظر: يتسحاق شابيرا ويوسف إيتسور، شريعة الملك، ط1، تر: خالد سعيد، مكتبة الشروق الدولية- القاهرة، 2011م، ص28، وعبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج5، ص367.

²⁶ رقية العلواني وآخرون: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، دار الفكر-دمشق، ط1، 2008م، ص51.

²⁷ سفر التثنية 6/7-8.

الآخر في الفكر الديني اليهودي وتغذية نزعة العداء والتعصب بوسعد، د. شنتوح

- ²⁸ رقية العلواني وآخرون: المرجع السابق، ص 52.
- ²⁹ عبد الوهاب المسيري: الأيديولوجية الصهيونية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978م، ص 209.
- ³⁰ يقول الراي يتسحاق جينزبورج في مقدمة كتابه شريعة الملك: وهناك الختان وهو العلامة المقدسة التي جاءت للتفريق بين اليهودي وغير اليهودي على المستوى الجسدي أيضاً، فجميع اليهود مختونون، بينما جميع الأغيار غُلف، وتلقائياً، لا يمكننا هنا التساؤل عن: كيف يسمح بهذا لليهود على غيرهم، بل على العكس من ذلك، فإن الختان هو علامة مقدسة تشير إلى أن كل شيء مباح لليهود، ومحظور على غيرهم. انظر: شريعة الملك ص 22.
- ³¹ انظر: موقع رابطة العلماء السوريين: محمد علي دولة، اليهود والغوييم، 1 أكتوبر 2009م، الرابط: http://islamsyria.com/site/show_articles/442
- ³² تثنية: 2/7: 4
- ³³ عبد الوهاب محمد المسيري: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية رؤية نقدية، ص 80.
- ³⁴ انظر: موقع: مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، ياسر درويش أحمد، ما وراء المصطلحات الصهيونية، 2014/16/12، الرابط: <http://www.aqsaonline.org/news.aspx?id=5942>
- ³⁵ التثنية 10/20.
- ³⁶ يشوع 21-20/6.
- ³⁷ العدد 17/31.
- ³⁸ العدد 53-51/33.
- ³⁹ العدد 24/23.
- ⁴⁰ التثنية 15/7.
- ⁴¹ التثنية 10/20.
- ⁴² رقية العلواني وآخرون: مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، ص 63.
- ⁴³ راجع موقعها على الانترنت: www.jewishencyclopedia.com
- ⁴⁴ انظر تفصيل الكلام في هذه القضية في كتاب عبد الله التل: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1399هـ، ص: 77-105.
- ⁴⁵ انظر: إسرائيل شحاك: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، ص 142.
- ⁴⁶ انظر تفاصيل المسألة: الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، إسرائيل شحاك، ص 60.
- ⁴⁷ القباله קבלה: علم التأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود، فاسمها مشتق من كلمة عبرية تفيد معنى التواتر أو القبول أو التقبل أو ما تلقاه المرء عن السلف، أي "التقاليد والتراث"، وكان يُقصد بها أصلاً تراث اليهودية الشفوي المتناقل فيما يعرف باسم "الشريعة الشفوية"، ثم أصبحت الكلمة تعني منذ أواخر القرن الثاني عشر "أشكال التصوف والعلم الحاخامي المتطورة"، وقد أطلق العارفون بأسرار القباله على أنفسهم لقب

”العارفين بالفيض الرباني“، انقسمت إلى قسمين: نظري خاص بالطريق إلى المعرفة الباطنية والفيض الإلهي، وعملي وهو أقرب إلى السحر الذي يستخدم التسبيح باسم الله ورموز الحروف والأرقام الأولية لتحقيق الغايات، ويقول إسرائيل شحاك أن الصوفية اليهودية (القبالة) حققت في أواخر القرن السادس عشر انتصارا كاملا تقريبا في مراكز اليهودية، ومزال نفوذ القبالة في اليهودية الأرثوذكسية مهيمنا، وتلك الأفكار ما زلت تلعب دورا سياسيا هاما في الوقت الحالي، وتشكل جزءا من منظومة المعتقدات الصريحة للعديد من الساسة المتدينين، ولها تأثير غير مباشر على كثير من الزعماء الصهاينة في كل الأحزاب. أنظر: موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية رؤية نقدية، عبد الوهاب المسيري، ص292. الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود، إسرائيل شحاك، ص51.

⁴⁸ موسوعة اليهود واليهودية، عبد الوهاب المسيري، ج2، ص18.

The other in Jewish religious thought Devoting a phenomenon Hostility And intolerance -A study of The Tanakh and The Talmud -

By: Boudjenah Boussad / Dr. Lilai Sanatouh
Faculty of Islamic Sciences – Alger 1 University

Abstract:

There is no unified position on « the other » in the Jewish law. There are two different views to the point of contradiction : The first view is positive ; The Jewish Sharia states that the pure of all nations will have a share in the other world. There are also in Jewish religious writings, many references to the rights of the stranger and the necessity of honoring him. The Noah law forms a common moral framework for Jews and non-Jews. The second view is negative ; The Torah distinguishes between the Holy Jew and the gujim (an international or a foreigner), who must be hustled and hated. This was followed by the Talmud texts to nourish hatred and increase the isolation of the Jews and their hostility to the other nations.

Keywords: The other ; Jewish religion - The Jews ; The Gujim; The Torah ; The Talmud; Foreign rights; The kill; Prohibition.

الآخر في الفكر الديني اليهودي وتغذية نزعة العداء والتعصب بوسعد، د. شنتوح